شعراء الفقراء

نشرت على الجزء الثاني من المجلد الاول من مجلة الرابطة الادبية السنة الاولى العدد الخامس

وقر في النفوس، وقام في الاذهان، ان المتفقهة من حملة العلم مقصورون في ميادين البلاغة على انواعها، سيما ما كان منها ترجمانا عن الوجدانات والخوالج مما يرفرف من الشعر مع الخيال.

واصحاب هذا الرأي يرجعون ذلك الى اسباب، ويتعللون له بعلل منها:

ان الفقه حقائق راهنة، واقية مائلة، فلا يلتئم مع الشعر الذي جله خيال ومجاز واستعارة. ومنها ان معاناة الفقهاء لحفظ المنظومات والمتون الفقهية البعيدة عن طلاوة الشعر وحلاوة البلاغة يخدش عليهم ملكاتهم في البيان فلا تواتيهم الفصاحة مرة اجروا انفسهم، حتى كأن الفقه والبيان على طرفي نقيض، فاذا اراد ان يكون احدهم سحاقة شعر وبرودته قالوا: هو شعر فقيه.

اعد نظر الناقد المجرد على كل ما ذكر تجده لا يعدو الحقيقة قيد انملة وان كنت في ريب منه فارجع الى ما دوّن من اشعار الفقهاء منذ عشرة قرون بل استطلع سدفهم بيد نظرك نيك من انفاسهم الى الفقه تعلم صواب ذاك الرأي ومن ثم عذرهم فقد خالفهم في روحهم وعاداتهم واسلوب تفكيرهم عداتأثير الزمان والمكان كالقافي الاثر الجاحظ، وعمارة اليمني.

نعم انا قد نكون من القائلين بهذا الرأي ولكني لا اعتقده ولحقا بلا قيد، ولا مرسل بل مشروط. اذ لا يجري الا على الفقهاء الذين اقعوا بعد القرن الثالث اما من كانوا قبلهم فانهم من محول البيان. وسبب ذلك فيما احسب ان الفقه كان لم يستعجم لسانهم، وان مرجع الفقه كان الكتاب والسنة واخبار الصحابة، وهي ما يكون ملكة البلاغة فكلما توغل الفقيه از داد في علمه صحت لغته، واشتدت عارضته، وانطلق لسانه، فكأنه يروض نفسه على ابيات من حيث لا يشعر يحاكي الفقهاء الذين جعلوا معجمهم المتون والمنظومات

ثم الشروح والحواشي والتقارير.

وها نحن نذكر اسماء بعض المتقدمين من الفقهاء مع ابيات نبذة من اشعارهم تتخذها شاهدا عدلا على تقدمهم في الشعر فمنهم ابو الاسود الدؤلي احد وجوه التابعين وفقائهم ومحدثيهم، والواضع في بناء النحو، عقد اصوله توفي سنة ٦٩ ومن شعره قوله:

بليت بصاحب ان ادن شبرا	يزدني في مباعدة ذراعا
وان امدد له في الوصل ذرعي	يزدني فوق قيس الذرع باعا
ابت نفسي له الا اتباعا	وتأبى نفسه الا امتناعا
كذا نا جاهد ابدا وبنائي	فذلك ما استطعت وما استطاعا

ومنهم عروة بن اذينة وهو شاعر غزل مقدم من شعراء اهل المدينة ومعدود في الفقهاء والمحدثين روى عنه مالك بن انس وعبيد الله بن عمر العمري وكان معاصر الهشام بن عبد الملك ووفد عليه ومن شعره قوله

ان التي زعمت فؤادك ملها	جعلت هواك كما جعلت هوى لها
فبذاك ذي زعمت بها وكذلكما	يبدي لصاحبه الصبابة كلها
ويبيت بيه جوانحي حب لها	لو كان تحت فراشها لاقلها
ولعمرها لو كان حبك فوقها	يوما وقد ضحيت اذا لاظلها
واذا وجدت لها وساوس سلوة	شفع الفؤاد الى الضمير فسترها
بيضاء باكرها النعيم فصاغها	بلباقة فاروقها واجلها
لما عرضت علي قلت لها اجبي	معونتها واخشى ذلها
منعت تخيرها فقلت لصاحبي	ما كان اذلها لنا واقلها
فدنا فقال لعلها معذورة	من اجل فقرنا فقلت لعلها

ومنهم عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود احد وجوه الفقهاء الذين روى عنهم الفقه والحديث احد الفقهاء السبعة من اهل

المدينة كان ضريرا وتوفى سنة ١٠٠ وله شعر فحل جيد منه :

فلو اكلت من نبتت منى بريمة ... لرجح منها رحمة حبة تاكله
ولو كنت في غل فبحت بلوعتى ... اليه للانت لى ورقت سلاسله
ولما عصانى القلب اظهرت عولة ... وقلت الا قلب بقلبي ابا وله

ومنهم الامام الشافعى وهو اشهر من ينوه به او يشار اليه توفى سنة ٢٠٤ ومن شعره قوله :

على ثياب لو يباع جميعها ... بفلس لكان الفلس منهن اكثرا
وفيهن نفس لو يقاس ببعضها ... نفوس الورى كانت اجل واكبرا
وما ضر نصل السيف اخلق غمده ... اذا كان عضبا اين وجهته برى

ومنهم سوار بن عبد الله القاضى وهو سوار الاصغر من اهل القرن الثالث له شعر منه :

سلبت عظامى لحمها فكسوتها ... عراى فى اجلادها تتكسر
واخليت منها فخمها فكانها ... انابيب فى اجوافها الريح تصفر
اذا سمعت باسم الفراق تزعجت ... مفاصلها من هول ما تتحذر
حنى بينى ثم انفى الثوب فانظرى ... لعلى جسدى لكننى انا قشر
وليس الذى يجرى من العين مائها ... ولكنها روح تذوب فتقطر

هذا ما اخطر على القلب من اسماء الفقهاء المتقدمين القرين جودوا فى قريض الشعر وهذه نبذة من اشعارهم التى ليس لحسنها غاية ، بل هى غاية لحسن ومنها تعلم مبلغ الفرق بين السلف وبين الخلف ، ولا تحرم من معرفة السبب اذا تفرست ما اوردناه ، فسبحان من اذا شاء الطف المعقول وقوم الموج من الالسنة انه على كل شئ قدير

١ انظر معجم الادباء لياقوت ج ٢ ص ٥٥ فزاك ابيات للقاضى ابى عاصم وغير الظنجى

نقد ديوان حليم

نشرت على الجزء الثالث من المجلد الاول من مجلة الرابطة الادبية السنة الثالثة ١٩٣٢ والجزء الاول منه

يا افنى الحليم

خليت الى لما اهديتنى ديوانك ان انظر له نظرة الناقد الملوم ، لا نظرة الجاهل المطرى فصدقت ظنى بك لانك شببت عن طوق التشجيع (وان كان ملك لا يشجع ملك) فاخليت من وقتى ما ساعدنى على قراءة القسم الاول من الديوان مع الهمة التى كنت بها نسيج وحدك واحسنت بجمعها ما شئت اذ عرضتها على الانظار طرازا آخر وانيا وديباجا صنعانيا وكنت اشبه بالنحل الذى يجنى الحبيب الازهار فيحولها الى عسل مصفى سائغ

اما ما يليها وهو بالورة نظمك فقد تمثلت به قنوة الشعر ورقة الشعور وخفقه على النفس كونه مقصوراً على حاجات النفس وترجمانها .

ولا امترى فى ان مشمولة الشعر قد دب فى نفسك ودبيبها ، فصورت لك نفسها حيث تضرب بطرفك ، لذلك فانت تنظم كل ما يتراءى لك من تلك المناظر فقصيدة (لبنان وزحلة وارى جمالك والاندلسية وحنينى) اثر من آثار تلك النشوة ولكن مقطوعة (القتيل) اثر من خمارها اعاذك الله من هذا بانه .

هذا ولعل ما وعدك اللفظ فى كل ما تعانى التعبير عنه لا سمحنا ما لم نكن نسمع .

ان ما لحاسته من شعرك كثير المراس ، لكنه لا يخلو من مواضع يجوز نقدها على اى وكل رأيه ، وانا اذكرها متوخياً لطريق الايجاز وهى :

ورد فى قصيدة (من وراء البحار) قولك فى وصف الحياء :

تمد سريباً خلل الروض صافية ... كحية وسط غاب فى تلويها

فكلمة وسط هى من الغلط وثقيلة على السمع ومنها :